

دقائق

في حياة فتاة

سعيدة

السيرة
يوسف بن حسن الطراوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريراً لمحاضرة

بعنوان

دقائق في حياة فتاة سعيدة

للشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

- حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله وسيئات أعمالنا،
من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.
أما بعد.

"دقائق في حياة فتاة سعيدة"

هذا هو عنوان محاضرة هذه الليلة.

وقبل البدء ببيان يوميات هذه الفتاة السعيدة، أود أن أذكر الأخوات
الطالبات وأقول لهن:

- إن من علامات سعادة الفتاة:

- استجابتها لنداء ربها.
- واستجابتها لدعوة رسولها - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وذلك لعلمها أنها لن تجني من سماعها لكلام الله تعالى، وكلام رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلا كل خير؛ ولأن ما يُلقى عليها من كلام الله تعالى، وكلام رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو حياة قلبها، وهو راحة نفسها، وهو انشراح صدرها، وهذه هي السعادة أيتها الأخوات.

قال الله - جَلَّ وَعَلَا - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

- ومن الاستجابة لله، ولرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

- الأدب عند الجلوس في المحاضرات.
- والإنصات لما يُقال فيها من الآيات والأحاديث الصحيحة.
- والحرص على الاستفادة.

لأن الفتاة السعيدة، فتاةً محترمة مليئة بالخير، تعلم أنها جالسة في روضةٍ من رياض الجنة، فلا يليق بها بعد ذلك أن تعمل أمورًا تصرفها عن الخير، أو تحرمها من الفائدة.

يقول أنس -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: "إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا» أي: اجلسوا وخوضوا في هذه الرياض، "قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حَلَقَ الذُّكْرُ»^(١).

إذا عرفنا ذلك؛ فلنتقل إلى التعرف على يوميات دقائق هذه الفتاة السعيدة

كيف تقضي يومها؟

وما هو سر سعادتها؟

هل بإمكان من تبحث عن السعادة من الفتيات أن تقوم بما تقوم به هذه

الفتاة؟

نعم أيتها الأخوات

السعادة، الطمأنينة، الراحة، طيب النفس، فرح القلب، انشراح الصدر،

الكلّ يبحث عنها ويسعى في طلبها؛ لأن هذا من النعيم العاجل في هذه

(١) صحيح: أخرجه الترمذي حديث: ٣٥٠٩، الصحيحة (٢٥٢٦)

الدنيا، نعيمٌ يشعر به الإنسان في الدنيا قبل الآخرة، وإليكن الدليل على ذلك:

عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عمه -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جميعًا- قال: "كنا في مجلس، فجاء النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعلى رأسه أثر ماء، فقال له بعضنا: نراك اليوم طيب النفس، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَجَلٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ»^(١) ثم أفاض القوم في ذكر الغنى -أي: في ذكر المال، ووسائل كسب الرزق ونحو ذلك، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنْ اتَّقَى، وَالصَّحَّةَ لِمَنْ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ» وهذا هو الشاهد: «وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ».

طيب النفس: ما يشعر به المرء من راحة وطمأنينة وسرور واطمئنان، هذا هو طيب النفس.

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه حديث: ٢١٤١، الصحيحة (١٧٤)

وهذا هو شأن الفتاة السعيدة، فتاة طيبة النفس، سمحة، منسرحة الصدر، مرتاحة البال، فتاة تبدأ يومها بطاعة الله -جَلَّ وَعَلَا-، وتختمه بطاعة الله، ليُلهَا طاعة، ونهارها قُربة وعبادة، تريد إنقاذ نفسها من النار، تحركت مشاعرها، وعزّت عليها نفسها أن تكون من الكثرة التي تدخل النار والعياذ بالله، وذلك حين سمعت قول نبيها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

استوقفتها هذه الجملة التي أخبر بها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

«فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فحرّكتها للخير؛ طلبًا لنجاة نفسها من النار.

الفتاة السعيدة فتاة عاقلة، رزينة، متزنة، جلست مع نفسها، فحكمت عقلها،

وتأملت في حالها، وقالت: كم ستعيشين؟
عشرون سنة، أربعون، ستون، ثمانون، مئة،

(١) أخرجه البخاري حديث: ٣٠٤

دقائق معدودة في الحقيقة، وفترة قليلة.

إذن مهما طال عمري فشأني شأن غيري، ونهايتي نهاية غيري ألا وهو
الموت

فإذا قيل لي، هكذا تخاطب الفتاة السعيدة نفسها،

فلو قيل لي: إذا مت ماذا تتمنين؟ لقلت: أتمنى أن أعود فأعمل صالحًا.

إذن القدرة على الطاعة موجودة، والأسباب ميسورة للتوفيق،

وصار شعار هذه الفتاة في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢].

نظرت هذه الفتاة في واقع البنات، تفكرت فيمن حولها من الفتيات.

فأخذت تسأل من حولها: كيف تحبين أن تكون حياتك؟

كيف تتمنين أن تكون أيامك؟

لماذا تقومين مثلاً بالموضحة الفلانية؟

لماذا تذهبين إلى المكان الفلاني ومثلك أرفع من أن يذهب إلى هذا المكان؟

الجواب: مختلف، إلا أن النتيجة واحدة: نرتاح، نفرح، نستأنس، نريد أن نحس بالسعادة، إلى آخره. أجوبة لكنها غير مقنعة للفتاة السعيدة.

طَرَحَتْ الفتاة السعيدة سؤالاً آخر: هل هذا فعلاً هو طريق السعادة؟

جواب الفتيات: هذا حال البنات.

طَرَحَتْ سؤالاً ثالثاً: ألسنا بمسلمين؟

الجواب من البنات: بلى.

طَرَحَتْ سؤالاً رابعاً: أليس الإسلام هو دين السعادة والسلامة والخير والطمأنينة والفلاح؟ ألم يقل - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

أَسْلَمَ»^(١)؟ ألم يقل - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا

أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ»^(٢)؟

جواب البنات: بلى.

(١) أخرجه مسلم حديث: ١٠٥٤

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير حديث: ٤٤٢ بلفظ: «أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيراً أدخل عليهم الإسلام»،

طَرَحْتُ سؤَالًا خَامِسًا: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ
هَمُّ أَسْعَدِ النَّاسِ؟

جواب البنات: بلى.

طَرَحْتُ سؤَالًا سَادِسًا: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ فِي الْإِسْلَامِ
أَعْمَالًا إِنْ قَمِنَ بِهَا الْفَتَيَاتُ؛ سَعِدْنَ فِي أَيَّامِهِنَّ، وَصَارَتْ حَيَاتِهِنَّ كُلِّهَا
سَعَادَةً؟

جواب البنات لأختهن: كلامك صحيح ومنضبط.

إِذْنًا، مَا هِيَ يَوْمِيَّاتُ هَذِهِ الْفَتَاةِ السَّعِيدَةِ؟

لَتَعْلَمَ كُلُّ فِتَاةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَنَّ فِي قَلْبِهَا أَصْلَ كُلِّ خَيْرٍ،
وَأَسَاسَ كُلِّ فَضِيلَةٍ

أَلَا وَهُوَ الْإِيمَانُ، نَعَمْ، هَذَا الْإِيمَانُ عَطِيَّةٌ مِنْ اللَّهِ تَدُلُّ عَلَى حُبِّ اللَّهِ -جَلَّ
وَعَلَا- لِمَنْ أَعْطَاهُ الْإِيمَانَ وَأَكْرَمَهُ بِهِ، قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ

قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ»^(١).

إذن من يملك الدنيا ليس له ميزة عند الله -عزَّ وجلَّ- «وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ».

فأقول: احمدي الله أيتها الفتاة على هذه النعمة؛ نعمة الإيمان، فمن هذه النعمة يتفرع كل خير.

أدركت الفتاة السعيدة أن نيل السعادة، وتحقيق الطمأنينة، والفوز برضى الله لا ينال إلا بأصلٍ عظيم، وقاعدة متينة هو سبيل الوصول إلى السعادة بإذن الله، ألا وهو التعلُّم وطلب العلم الشرعي الصحيح، وأعني به: العلم المستمدّ من الكتاب والسُّنَّة، بالتفقه في دراسة العقيدة الإسلامية التي بُعث بها نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتعلُّم العبادات والقربات، والأخلاق، والمعاملات.

سؤال أخواتي: لماذا توجهت هذه الفتاة لطلب العلم وعيّنت جزءاً من وقتها لذلك؟

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في مستدرکه حديث: ٩٥، الصحيحة (٢٧١٤)

الجواب: لأن هذا العلم يدها على معرفة ربها وما له من الأسماء والصفات والحقوق، وما له -جَلَّ وَعَلَا- من إجلال، وتعظيم، وتوقير، ومحبة، ورجاء، وخوف، وتوكل، ورضا، وإنابة، وتوبة -جَلَّ وَعَلَا- تبارك اسمه وعزَّ شأنه، لأنه يدها على معرفة ما يحبه الله ويرضاه، وما يبغضه ويسخطه، وإذا وفَّقت الفتاة ذلك فقد وفَّقت لخيرٍ عظيم.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ يُرِدُ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١)

بالعلم تستطيع الفتاة أن تحسّن اغتنام وقتها وتستغله استغلالاً صحيحاً مثمراً.

الفتاة السعيدة لها يوميات:

- ومن أسس يوميات هذه الفتاة:

أنها فتاةٌ حافظةٌ لوقتها، مستثمرةٌ لدقائق حياتها؛ لأن وقتها هو عمرها، فإذا ضاع وقتها ضاع عمرها، وتضييعها وقتها؛ تضييعٌ لنعمةٍ من نعم الله -جَلَّ وَعَلَا- عليها.

(١) أخرجه البخاري حديث: ٧٣١٢

قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «نِعْمَتَانِ» سَأَهَا نِعْمَةٌ «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(١)

والعاقل يترفع عن أن يكون مضيعاً لوقته وعمره، أو مفرطاً في نعمة من نعم الله عليه، وهذا حال الفتاة السعيدة، فتاةٌ حافظةٌ لوقتها، ممثلة لوصية نبينا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ»^(٢).

من يوميات هذه الفتاة السعيدة، ودقائق حياتها النفيسة القيام بكل عملٍ صالحٍ ممكن:

لأن العمل الصالح طريق السعادة، وسبيل الراحة، قال الله -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى﴾ [النحل: ٩٧].

(١) أخرجه البخاري حديث: ٦٤١٢

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه حديث: ٧٩٤١، صحيح الترغيب (٣٣٥٥)

أختي الكريمة، قفي عند قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿أَوْ
أُنْتَى﴾ [النحل: ٩٧] لتعلمي أن لكِ وزناً عند ربك، فالمرأة والفتاة في ديننا
ليست مهملة، بل هي عزيزة كريمة، تأملي كيف أن ربك -جَلَّ وَعَلَا-
وهو الغني عنك خصك بالذكر ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَى وَهُوَ
مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧].

فما هي النتيجة؟

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] وهذه هي السعادة.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فبالعمل الصالح، والإقبال على الطاعة؛ يسعد
القلب، وتطمئن النفس، ومن وفقت للعمل الصالح فقد وفقت لخير
عظيم.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» بيان منه -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن من أراد به خيراً استعمله.

كلمة «استعمله» لفظة مجملة غير واضحة، ومن هنا جاء استفتاء
الصحابة

"قيل: كيف يستعمله؟" قال: «يُوفِّقَهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ
عَلَيْهِ»^(١).

وعلى رأس هذه الأعمال الصالحة: الواجبات والفرائض، فإن لها أثرًا كبيرًا
في سعادة الفتاة، وعلى رأس هذه الواجبات الصلاة.

فمن أهم يوميات الفتاة السعيدة: محافظتها على صلاتها في وقتها:

فالصلاة ناهية عن الشر، منورة للقلب، مبيضة للوجه، منشطة
للدجوارح، جالبة للرزق، دافعة للظلم، منزلة للرحمة، كاشفة للغمّة، معينة
على تحصيل خيري الدنيا والآخرة بإذن الله.

يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مبيّنًا أن سعادته وطمأنينته في الصلاة،
قال: «إِنَّمَا جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢)، وقال لبلال رضي الله عنه: «أَقِمَّ

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان حديث: ٣٤١، صحيح الجامع (٣٠٥)

(٢) صحيح: أخرجه النسائي حديث: ٣٩٤٠، الصحيحة (٣٢٩١)

الصَّلَاةُ يَا بِلَالُ، أَرِحْنَا بِهَا»^(١) هذه هي السعادة، ولا تتم الراحة إلا بأدائها، أي: لا تتم الراحة بالصلاة إلا بأدائها على صفة صلاة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وبذل الجهد في الخشوع فيها.

■ من يوميات هذه الفتاة وأوقاتها الطيبة التي تمضيها فيها: كثرة ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-

نعم، ذكر الله، الذكر المطلق في كل وقت، وفي أي مكان، حاشا الأماكن القذرة، وعلى أي حال، فقد قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

كثرة ذكر الله، سواء الذكر المقيد بالزمان والمكان والحال، كأذكار الصباح، وأذكار المساء، وأذكار النوم، ودخول المسجد، والخروج منه، ودخول المنزل، والخروج منه، وأذكار الأكل والشرب، أذكار العطاس، أذكار الأذان، إلى آخره.

هذا من يوميات هذه الفتاة.

(١) صحيح: أخرجه أبو داود حديث: ٤٩٨٥، صحيح الجامع (٢٩٨٦)

قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ

اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨] تأملي هذا ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]

القائل هو الله سبحانه أن في ذكره تطمئن القلوب، أي: يزول فيها من ضيق

وقلق، واضطراب، وتكون هذه القلوب مرتاحة فرحة مطمئنة ﴿الَّذِينَ

آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

نعم، ذكر الله ينجيك من عذاب الله، ألم تسمعي قول النبي -صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا عَمِلَ آدَمِيُّ عَمَلًا أَنْجَاهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١)؟

نعم، ذكر الله عملٌ سهل، عملٌ يسير، تأملي هذا الأجر والفضل العظيم

المرتب عليه، يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ

وَبِحَمْدِهِ» ما له؟ «غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لِأَنَّ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٣).

(١) صحيح: أخرجه الترمذي حديث: ٣٣٧٧، صحيح الجامع (٥٦٤٤)

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في الصغير حديث: ٢٨٧، صحيح الترغيب (١٥٣٩)

(٣) أخرجه مسلم حديث: ٢٦٩٥

الشمس تطلع على ماذا؟

على الدنيا.

إذن هذه الكلمات أحب إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الدنيا وما فيها.

■ من يوميات هذه الفتاة والدقائق التي تمضيها كثرة الاستغفار، لماذا؟

اقتداءً برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقد كان يكثر من الاستغفار، وأيضاً لأن الاستغفار من أسباب السعادة، نعم، اقرئي قول الله - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

الثمرة هي السعادة ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣]، ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣] تجدون الراحة، الطمأنينة، تيسير الأمور، السعة في الرزق، إلى آخره.

أتدرين أيتها الأخت الفاضلة لماذا الفتاة السعيدة تواظب على الاستغفار؟

لأنها حريصة أن تظفر بدعاء رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لأن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دعا للمستغفرين وقال: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»^(١) وبين فائدة كثرة الاستغفار، وأنه من أسباب السرور والفرح يوم القيامة حين يستلم كل امرئ صحيفته أعماله، حيث قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ اسْتِغْفَارٍ»^(٢).

■ ومن يوميات هذه الفتاة: أنها فتاةٌ كما يقال: إيجابية فتاة ترفض الحزن، فتاة لا تدع للقلق سبيلاً إلا قلبها، فتاة متفائلة.

لأن نبيها - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يحب الفأل، عَزَمَتْ هذه الفتاة من أول يومها إن لقيت إحدى زميلاتهما أو قريباتهما أو جارئاتها أن تبشَّ في وجهها، وتبادرها بالابتسامة الصادقة لا المتصنعة.

تعرفنَ لماذا؟

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه حديث: ٣٨١٨، صحيح الجامع (٣٩٣٠)

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط حديث: ٨٣٩، الصحيحة (٢٢٩٩)

اقتداءً برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ولعلمها أن هذا من المعروف الذي يحبه الله ويرضاه.

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث رضي الله عنه: "ما رأيت أحدًا أكثر تسميًا من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -" وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ**»^(١)، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**تَبَسُّمِكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**»^(٢).

هذه الفتاة السعيدة لا تكتفي بمجرد الابتسامة، بل تفعل ما هو أكثر من هذا ألا وهو المبادر بالسلام، والمبادر بالمصافحة، تقول تحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) لا بأي تحية أخرى.

تعرفنَ لماذا؟

لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَصَافَحَهُ تَنَاطَرَتِ خَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَنَاطَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ**»^(٣).

(١) أخرجه مسلم حديث: ٦٤٨

(٢) أخرجه مسلم حديث: ٧٢٠

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط حديث: ٢٤٥، صحيح الترغيب (٢٧٢٠)

وهنا خلقٌ عجيب، وعملٌ نبيل من هذه الفتاة السعيدة يدل على خلق عالٍ في نفسها، وأدبٍ رفيع، وذلك أنها عندما تصافح زميلاتها لا تترك يد أختها حتى تكون الأخرى هي التاركة ليدها.

تعرفنَ السبب؟

لأن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان إذا صافح رجلاً لم يترك يده حتى يكون هو التارك ليد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. وهذا فيه اهتمام وتقدير، ومراعاة لمشاعر هذا الشخص المصافح.

هذه الفتاة إن دخلت عليها الهموم، أو أحاطت بها الأحزان، فزعت إلى الله بالدعاء، وسلت نفسها بأحاديث نبينا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، حيث قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا خَطَايَاهُ»^(١).

نظرت هذه الفتاة في هذه الحياة الدنيا وتيقنت أنها لا تستحق أن يقف عندها المرء، فلمَ الحزن؟

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري حديث: ٥٦٤١ ومسلم حديث: ٢٥٧٣

لذلك توكلتُ على الله -جَلَّ وَعَلَا-، نعم توكلت على ربها حين دخول هذه الهموم والأحزان عليها، وأكثرت من الصلاة على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأن ذلك من أسباب رفع الأحزان، وأكثرت من ذكر الله، ولجأت إلى الصلاة، فقد كان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة، واشتغلت بالأمور النافعة المفيدة، وأيقنت أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن من العسر يسرى.

بهذه الوسائل وغيرها كانت ولا زالت تقف الفتاة السعيدة أمام القلاقل والأحزان.

من يوميات ودقائق هذه الفتاة السعيدة أنها فتاةٌ تخالط صديقاتها وتجالسهن.

لكن إن جلست معهن يكون لها شأنٌ آخر، وحالٌ يختلف عن سائر البنات، فالقلوب عليها مقبلة، والود نحوها صادق، وهذا كله لا شك من فضل الله عليها، ثم بإيمانها وعملها الصالح؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ [مريم: ٩٦]؛ أي: محبة،
وودادًا في القلوب، وقبولًا بين الناس، وإقبالًا عليه.

علاقة هذه الفتاة بمن تجالس، وبمن تماشي علاقةً شرعية، علاقة يحبها
الله ويثيب عليها؛ لأنها صلة نابعة من الإيمان الصحيح؛ ولأن هذا من طرق
سعادتها وتحصيلها لحلاوة الإيمان أن تجعل حبها للآخرين شرعيًا.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ
لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهُ»^(١).

قفي أيتها الأخت عند قوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهُ» لا
يكن الدافع له على هذا الحب إلا طلب رضا الله، ورجاء أجره، والفوز
بشوابه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وكل علاقة لا تُبنى على هذا الأساس، فمآلها
التفرق والمقاطعة والتفكك.

إن أعظم مفسدٍ للعلاقات: الذنوب، هكذا أخبرنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ- وقال: «مَا تَوَادَّا اثْنَانِ فِي اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَوْ فِي الْإِسْلَامِ فَيُفَرِّقَ

(١) أخرجه البخاري حديث: ١٦.

بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا»^(١) هذا هو الداء، وهذا هو السبب في فكاك العلاقات وعدم استمرارها.

قال بعض السلف: "إذا وجدت من إخوانك جفاء، فتب إلى الله، فإنك أحدثت ذنبًا، وإذا وجدت منهم زيادة ود، فذلك بطاعةٍ أحدثتها - أي قمت بها - فاشكر الله - جَلَّ وَعَلَا -".

هذه الفتاة السعيدة فتاةٌ حَكِيمَةٌ لا تبخل على زميلاتها بنصيحة، ولا تتوقف في إبداء المشورة لهن، وإن رأت أمرًا سيئًا على إحداهن أنكرت عليها لكن بطريقةٍ حكيمة، وأسلوبٍ جذاب، وتعاملٍ راقٍ، وقولٍ طيب.

وبفضل الله - جَلَّ وَعَلَا - كم حصل على يد هذه الفتاة من خير كثير؟ كم هدى الله على يديها من فتيات؟ كم صَوَّبَ اللهُ - جَلَّ وَعَلَا - بها من مخالقات؟ و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الجمعة: ٤] هذا كله يدل على سلامة صدر هذه الفتاة، وعلى حبها الخير للآخرين.

(١) أخرجه أحمد حديث: ٥٣٥٧، صحيح الجامع (٥٦٠٣)

نجحت هذه الفتاة في دعوتها، وكسبت والله الحمد الآخرين، وسلكوا طريق السعادة بسببها.

تعرفن ما هو السبب؟

لأنها استقامت في دعوتها على هدي النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، علمت أن الدعوة إلى الله عبادة وقربة، هذه العبادة لها شروطها وآدابها وضوابطها وأحكامها، لا يجوز لها أن تخرج عن هدي النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في تبليغ دينه، وهداية عباد الله، فكما أنها تلتزم بالسُّنة في صلاتها، في صيامها، في ذكرها، فهي ملتزمةٌ بالسُّنة في دعوتها.

قامت هذه الفتاة بعد استقامتها على هدي نبيها - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في الدعوة فعالجت الأمور على وفق السُّنة، وبذلت الوسائل الشرعية في إصلاح الخلل الحاصل في محيطها، فكان من بركة تمسكها بالسنة أن هيا الله لها الخير، ونفع بها.

قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»^(١) ومع هذا الخير كله في حياة هذه الفتاة، وفي دقائق عمرها، فإنها قد خصت أيامًا

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط حديث: ٦٠٢٦، الصحيحة (٩٠٦)

تذهب فيها لحفظ كتاب الله، أيامًا تذهب فيها لزيارة أصحابها، وفي بيتها
تعني بإخوانها وأخواتها، تفرس فيهم القيم، تزرع فيهم المبادئ الطيبة،
والعادات الحسنة.

أدركت هذه الفتاة الهدف من خَلِقها على هذه الحياة، وأنها لم تُخَلَق عبثًا،
وأنها لن تترك سدّي ولا هملاً، بل خُلِقَت لغاية عظيمة ألا وهي: تحقيق
العبودية لله -جَلَّ وَعَلَا-؛ فلذا أمنيته أن تموت على عملٍ صالح.

هذه الفتاة السعيدة لا شك أنه يمر بها شيءٌ من الضعف أحيانًا، لكنها
تعالج نفسها بالدعاء، والتضرع إلى الله، وبمجاهدة نفسها، وبقوة عزمها
على الخير، وبصحبة البنات الخيّرات الصادقات، وتخصص أيضًا وقتًا
لقراءة سيرة النساء الأوائل، تحاول الاقتداء بمن سلف من الفاضلات
والخيرات، تقتدي وتأتسي بأفعالهن قدر الإمكان، وذلك من وسائل تنشيط
نفسها، وخرس الخير في قلبها، وتثبيتها على طاعة الله -جَلَّ وَعَلَا-.

عندما طلق النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حفصة بنت أمير المؤمنين عمر،
أتاه جبريل - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فقال: "يا محمد، طلقت حفصة وهي
صوامَةٌ قوامَةٌ وهي زوجتك في الجنة؟" (١).

جاء في ترجمة فاطمة بنت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنها كانت
صابرة، دينة، خيرة، صينة، قانعة، شاكرة لله - عَزَّ وَجَلَّ -.

زينب بنت جحش أم المؤمنين، وابنة عمه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - كانت من سادات النساء دينًا، وورعًا، وجودًا، ومعروفًا.

تقول عنها عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: "لم أرى امرأة قط خيرًا في الدين من
زينب"

قفي أيتها الأخت الفاضلة عند هذه الكلمة العظيمة التي تدل على مكانة
ديانة زينب - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، وقوة إيمانها، وحسن صلتها بربها، تقول
عائشة: "لم أرى امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق
حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة"

(١) حسن: أخرجه الحاكم في مستدركه حديث: ٦٧٥٤، الصحيحة (٢٠٠٧)

زينب بن خزيمة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - بنت الحارث، زوجة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، كانت تُدعى أم المساكين من كثرة معروفها وإحسانها.

أيتها الأخوات الفاضلات

لا تقل إحداكن: هؤلاء أزواج النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهؤلاء بنات رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أين نحن منهن؟

أقول: من بذل الخير، وقام بأسبابه وفق أيتها الأخوات، هذا الخير الذي سمعتموه عن أزواج النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قد تأتي لمن بعدهن من التابعيات، ولمن جاء بعدهم، ممن سار على طريقتهن، واقتدى بهن.

حفصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين، هذه المرأة جاء في ترجمتها أنها كانت مداومة ومواظبة وملازمة للأعمال الصالحة.

معاذة بنت عبد الله أم الصهباء تابعة جلييلة.

قال عنها الذهبي -رَحِمَهُ اللهُ-: "بلغنا أنها كانت تقول: والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى الله بالوسائل" أي: إلا لأقوم بالأعمال الصالحة في هذه الدنيا.

زبيدة بنت جعفر بن منصور العباسية كما يقال من الأسرة الحاكمة، زبيدة هذه كانت عظيمة المال والجاه، لها آثار حميدة على حجاج بيت الله الحرام، كان في قصرها من الجواري نحو من مئة جارية.

ما حال هؤلاء الجواري؟

فقد كن كلهن يحفظن القرآن.

فاطمة بنت عباس أم زينب هذه امرأة وُجِدَتْ في القرن السابع.

ترجم لها الإمام ابن كثير -رَحِمَهُ اللهُ- قال -رَحِمَهُ اللهُ-: "في يوم عرفة توفيت الشيخة الصالحة العابدة الناسكة أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية، وشهدتها خلقٌ كثير -أي: شهد جنازتها وحضر جنازتها والصلاة عليها خلقٌ كثير -وكانت من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف

وتنهي عن المنكر، وتقوم على أهل البدع، وتفعل من ذلك -أي: من الإنكار على أهل البدع ما لا يقدر عليه الرجال، قد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية - أي: تحضر دروس شيخ الإسلام ابن تيمية، - فاستفادت منه ذلك وغيره".

قال ابن كثير: "وقد سمعت الشيخ تقي الدين يثني عليها، ويصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيرًا من [المغني] أو أكثره".

[المغني] هذا كتاب في الفقه المقارن؛ أي الفقه الذي فيه أقوال العلماء، مطبوع في خمسة عشرة مجلد.

يقول عنها ابن كثير: "أنها كانت تستحضر [المغني] أو أكثره، وأنه -أي: ابن تيمية - كان يستعد لها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها، وسرعة فهمها" ثم قال ابن كثير: "وهي التي ختّمت نساء كثيرًا القرآن" يعني حفظ على يديها نساء كثير كتاب الله -جَلَّ وَعَلَا-.

■ هذه الفتاة السعيدة كما أنها تبذل وسائل إصلاح نفسها، فإنها تتعد

أيضاً عن كل سبب ينغص عليها حياتها، ويكدر عليها أمورها.

فلذا هذه الفتاة من تمام عقلها، ورجاحة ذهنها أنها حذرته أشد الحذر مما ينغصها، وعلى رأس هذه الأمور المنغصة: المعاصي التي هي سببٌ لجلب كل شر في الدنيا والآخرة.

إن للمعاصي من الآثار القبيحة المدمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله.

المعاصي سببٌ لحرمان العلم، سببٌ لمحق الرزق والبركة فيه

المعاصي سببٌ لحصول الوحشة بين العاصي وبين الله، وبين العاصي وبين

الناس

المعاصي سببٌ لتعسير الأمور، سببٌ لظلمة القلب والوجه والقبر، سببٌ

لوهن القلب وضعفه، سببٌ لحرمان الطاعة، نعم، سببٌ لحرمان الطاعة.

تأتي الأسئلة من كثير من النساء والرجال: لا أستطيع أصلي، أجد ثقلاً في العبادة، نعم، هذا السبب، المعاصي سببٌ لحرمان الطاعة، المعاصي تولد أمثالها، فالمعصية تجر المعصية، فالمعاصي تضعف إرادة القلب وإنابته إلى الله، والمعاصي تزيل عن القلب استقباح الذنوب، يراها الإنسان عادية وكأنها لم تكن في يوم من الأيام مخالفة لرب الأرباب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-

والمعاصي سبب لهوان الإنسان على الله -عَزَّ وَجَلَّ- ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]

المعاصي تورث الذل، تفسد العقل، يطبع والعياذ بالله على قلب صاحبها، تُدخِل صاحبها تحت لعنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتحرم صاحبها من الدخول في أدعية النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، المعاصي سبب لعقوبات البرزخ.

تُحدِث هذه المعاصي في الأرض أنواع من الفساد: في المياه، في الهواء، في الزروع، في الثمار، في المساكن، فالمعاصي تُذهب الحياء من القلب، الحياء الذي هو مادة كل خير في قلب الإنسان، تُذهب المعاصي، تُذهب الغيرة من

القلب على النفس، تذهب تعظيم الله -جَلَّ وَعَلَا- من القلب، هذه المعاصي تستدعي نسيان الله لعبده وإهماله له، وهذا هو طريق الهلاك.

المعاصي تزيل النعم، تُحِلُّ النقم، يصير القلب بسببها مريضاً أو ميتاً والعياذ بالله، تُعمي بصيرة الإنسان، ويكون الإنسان في أسر الشيطان، وأسر النفس الأمارة بالسوء، المعاصي تُكسِبُ صاحبها الألقاب والأسماء الذميمة، تحقق بركة علمه، وعمله، ورزقه، وعمره، تخون الإنسان أحوج ما يكون إلى نفسه، تبعد الإنسان عن الملائكة، تقربه من الشياطين، تؤثر في قلبه، تكون سبباً لسوء الخاتمة والعياذ بالله، سببٌ لسوء الأخلاق، نسأل الله العافية.

وبالجملة هي سبب كل شر، المعاصي آثارها عظيمة، وأخطارها جسيمة^{٢٦} وكبيرة، فالعاقل المتزن من الفتيات تُغلق على نفسها هذا الباب، وتشغل نفسها بمحباب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

كثيرةٌ هي الدقائق التي لو بقينا نسردها عن هذه الفتاة السعيدة، فهي كثيرةٌ وعديدة، لكن كما قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِّمَّا كَثُرَ وَأَهْي»^(١)

أسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- أن تكون هذه الكلمة لها قبولها عند الأخوات ،
وأسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- أن يجعل لها ذلك، وأن يكون لها الأثر في النفس،
والحرص على العمل بما جاء فيها؛ لأن ما جاء فيها والله الحمد، قال الله،
وقال رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-.

أسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- لي ولكن التوفيق والسداد، والهداية والرشاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان حديث: ٣٣٢٩، التعليقات الحسان (٣٣١٩)



شبكة بينونة للعلوم الشرعية
نعتني بنقل العلم الشرعي في دولنا
الإمارات العربية المتحدة